التاثيرات الاجتماعية والحضارية في الاندلس«٦٢٠–٦٦٣هـ»

أ.م.د. رغد جمال مناف العزاوي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

المستخلص :

ان للحضارة والثقافة الاندلسية العربية تاثيرا واضحا ومباشرا على أوروبا المسيحية، والتي تقبلتها بكل علومها ومعارفها وتقاليدها واسمائها، وهذا ما نلحظه واضحا في حياتهم .لان الاندلس تعد واحدة من البلدان التي انضوت تحت الحكم الإسلامي لحوالي ثمانية قرون منذ الفتح الى سقوط غرناطة* (٩٢-٨٧٩هـ)، تأسست فيها حضارة شملت جميع الجوانب لاسيما الحضارية بمختلف اصنافها، التي اقتبسها الاسبان المسحيين والاوربيين منهم ،

مما يعكس لنا الإرث الحضاري الذي سلطته اسبانيا العربية(الاندلس)، على اسبانيا المسيحية والبلاد المجاورة لها بعد انتهاء الحكم الإسلامي في الاندلس سنة(٨٩٧هـ)، وسقوطها بيد مملكة قشتالة وأراغون، أصبحت المدن الاندلسية تحت الحكم الجديد، الذي حاول شتى الطرق ، لمحو أي اثر او تاثير عربي إسلامي، لكن وبرغم كل هذه الظروف السياسية، الا أن التاثيرات الاجتماعية والثقافية بقت متاصلة في المجتمع الذي يضم خليطا متجانسا ومختلفا من جميع الفئات ، مثالا على ذلك ، بقاء استعمال المفردات العربية في حياتهم الاجتماعية وهذا ما بيناه في ثنايا بحثنا.

و تحدثنا في بحثنا عن الجوانب والتاثيرات الحضارية التي تقسم الى العادات والتقاليد قما بقي مستعملا من قبل الاسبان، والتاثير الحضاري الثقافي الذي يعد الأهم لان عن طريقه عرف الاسبان والاوربيين علوم ومعارف العرب عن طريق تعريب المؤلفات الى العديد من اللغات ، وكان ذلك بتشجيع ودعم من الملوك الاسبان لاسيما ملوك مملكة قشتالة رغم تدينهم الشديد وميلهم الى الكاثوليكية، فضلا عن اساقفتها وتلاميذها واساتذتها (المسلمون ، والنصارى ، واليهود) ، الذين أخذوا على عاتقهم القيام بهل العمل الكبير ، موظفين كل امكانياتهم لانجازه، وأصبحت مدرسة (طليلطة) الاندلسية ،سابقا الاسبانية حاليا، واحدة أشهر المدارس في تلك الفترة للتعريب والنهل من هذه العلوم، التي وصلت الى اسبانيا المسيحية بعد سقوط الاندلس سنة(٨٩٧هـ-١٢٥٦م)، وكانت الكتب المترجمة في النواحي العلمية والفلسفية والدينية (الخط الصوفي)،وذلك كله يعود الى التاثير العربي الاندلسي على الممالك الاسبانية أولا وأوروبا ثانيا.

.الكلمات المفتاحية: التاثيرات الحضارية، التاثيرات الثقافية، الفن القصصي، المعاهد الدراسية

Abstract:

The Andalusian Arab civilization and culture had a clear and direct impact on Christian Europe, which accepted it with all its sciences, knowledge, traditions and names, and this is what we notice clearly in their lives. Because Andalusia is one of the countries that came under Islamic rule for about eight centuries from the conquest to the fall of Granada* (92–879 AH), a civilization was established in it that included all aspects, especially civilization in its various types, which the Christian Spaniards and Europeans adopted from them,

which reflects to us the civilizational legacy that Arab Spain (Andalusia) imposed on Christian Spain and the neighboring countries – after the end of Islamic rule in Andalusia in the year (897 AH), and its fall at the hands of the Kingdom of Castile

and Aragon, the Andalusian cities became under the new rule, which tried in various ways to erase Any Arab–Islamic effect or influence, but despite all these political circumstances, the social and cultural influences remained rooted in the society that includes a homogeneous and different mixture of all classes, for example, the continued use of Arabic vocabulary in their social life, and this is what we have shown in the folds of our research, and we talked in our research about the aspects and civilizational influences that are divided into customs and traditions and what remained used by the Spaniards, and the cultural civilizational influence which is the most important because through it the Spaniards and Europeans learned the sciences and knowledge of the Arabs by Arabizing the books into many languages, and this was with the encouragement and support of the Spanish kings, especially the kings of the Kingdom of Castile despite their extreme religiosity and their inclination towards Catholicism, in addition to its bishops, students and teachers (Muslims, Christians and Jews), who took it upon themselves to carry out this great work, employing all their capabilities to accomplish it, and the Andalusian (Toledo) School, formerly the Spanish School now, became one of the most famous schools in that period To Arabize and draw from these sciences, which reached Christian Spain after the fall of Andalusia in the year (897 AH – 1256 AD), and the translated books were in the scientific, philosophical and religious aspects (Sufi line), and all of this is due to the Arab Andalusian influence on the Spanish kingdoms first and Europe second.

Keywords:civilizational influences, cultural influences, narrative art, educational institutes.

١–التاثيرات الحضارية في الأندلس:

أ–التاثيرات الاجتماعية:

عاش المسلمون والمسيحيون جنب الى جنب لاسيما بعد سقوط الاندلس، فتبادل كلا الطرفين امرا طبيعيا ،ان جواري موريسكيات مغنيات كن يعزفن ويغنين في البلاطات المسيحية، وفي كتاب سانتا ماريا لالفونسو العاشر * (العاشر واحدا من اهم ملوك اسبانيا ،هو الابن الاصغر للملك فرديناند الثالث(فرديناند الثالث (١١٩٩/ ١٢٥٢م)، ابن ملك ليون الفونسو التاسع، ملك مملكة قشتالة منذ عام (١٢١٧م)، حتى وفاته وملك ليون منذ عام (١٢٣٠م)، ومن ثم اصبح فرديناندالثالث ملك للممالك الاثنين ليون

وقشتالة، p p:١٩٨٠:gonzalez:j u lio: reiadoy: di pomasde:f ernan ٢٣) ،وحفيد الامبرطور فيليب السوابي (هو امبرطور المانيا الذي خلف اخاه في الحكم، الامبرطورفردرك الثاني،) ينظر: شعبان، (الفونسو العاشر) (المجلة العربية السعودية)، (١٩٧٩)، ص١١–١٢)، وعرف في المدونات الاسلامية بالادفونش، ولد في مدينة طليطلة ،من سنة(١٢٢١/١٢٨٤م)، ملك مملكة قشتالة* (هي عمل من الاعمال الاندلسية، قاعدته قشتالة سمي العمل بها، وقالوا ما خلف الجبل المسمى بالشارات في جهة الجنوب سمي اشبانيا،وماخلف الجبال من جهة الشمال، فيسمى قشتالة، ينظر: الحميري،(صفة الجزيرة)،(١٩٣٧)، ص١٦١.)،وليون* (قاعدة من قواعد قشتالة عامرة، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولاهلهاهمة، ينظر: الحموي،معجم البلدان، دار صادر،(بيروت)،(١٩٩٥)، ج٥، ص١٤٥؛ الحميري، (الروض المعطار)،(١٩٧٥)، ص٥١٤.)،من سنة(١٢٥٢/ ١٢٨٤م).(بروفنسال، (حضارة العرب)، (١٢٩٠هـ)، ص١٢٢؛ بالنثيا ،(تاريخ الفكر)،(د–ت)،ص٤٧٣–٤٧٥) ،رسم يظهر فيه مسلم ومسيحي يغنيان ويعزفان معا على عودين متشابهين، ثم ان مجمع (بلد الوليد المدينة اسبانية) ،استعمل في سنة (١٣٢٢م)، المغنيين والعازفين المسلمين الاندلسيين في كنائسهم، كما فعل نفس الشيء تروبادور هو غرثيه فرناندث (ت في ق ١٧م)، الذي تزوج من مغنية موريسكية مسلمة ، متنقلا في اسبانيا بين أقاليم مسيحية ومسلمة. وات، (تاريخ اسبانيا)،(١٩٩٨)،ص١٦٨؛ كاسترو،(حضارة الإسلام)، (١٩٨٣)،ص٤٨.

مما يلحظ ان هذا المغني قد نقل عن الاندلسيين ثقافة الغناء والرقص في المتجمعات او حتى في الحفلات وهذا شيء انتقل اليهم من المجتمع الاندلسي الذي كان يمارس هذه الثقافة الفنية، والدليل ان وجود العديد من الجواري كن يغنين في قصور الخلفاء الاندلسيين ، كفضل المدنية وقلم ومتعة جارية المغني زرياب(١٧٣–٢٤٣هـ)، اللواتي يتفن الغناء والرقص، وهنا لابد من التوضيح كيف كانوا يتفاهمون هل يتحدثون لغة واحدة؟ ولربما اللغة العربية؟ والسبب كانت هي اللغة الرسمية للخلافة الاندلسية طوال(ال٨ قرون)،ينظر: ابن الابار،(التكملة)،(١٩٩٥)،ج٤، ص٢٤٢–٢٤٤.

لقد اعتنق عدد كبير من من اهل البلاد الإسلام ، وذابوا في القسم العربي من السكان ، يبدو ان اجتذاب الثقافة العربية للسكان الأصليين الذين ظلوا على النصرانية، ، فعرفوا باسم المستعربين*، وهذا يدلنا الى ان الحضارة الاندلسية الإسلامية، شارك في انتاجها كافة سكان الاندلس بغض النظر عن العرق او الدين ، الذين تغاضوا عن كل شيء وساهموا مساهمة فعالة في صنع هذه الحضارة التي امتدها تاثيرها الى أوروبا. وات،(تاريخ الاندلس)،(١٩٩٨)،ص١٧٨؛ لوبون، (حضارة)،(د–ت)،ص٢٦٤.

مما يظهر ان اللغة العربية كانت العامل الأكثر تاثيرا في نقل العلوم والمعارف وبقية الفنون والعادات والتقاليد، فهي لغة متجانسة تجمع العديد من العناصر، فهي تعدّ من اللغات الحية ، رغم وجود اللغة الرومانية، الا أن لغتنا العربية كانت منفردة ، وان سكان الاندلس تحدثوا بها ونقلوا مفرداتها الى غيرهم من الأمم لاسيما الى مراكش ، وأوروبا، وبقيت اللغة العربية تستعمل في القصائد في الالحان الاسبانية ، كولان ، (الاندلس)، (١٩٨٠)،ص١٨٦–١٨٨.

أما من ناحية العادات والتقاليد، لم تقف التاثيرات العربية الحضارية في الثقافة الاوربية عند حدود الادب،انما تسربت او وصلت حتى الى العادات والتقاليد والممارسات الشعبية، فقد عرفت اورباعن طريق الاندلس، وسيلة للتنجيم وقراءة الطالع والفنجان، وهي من العادات المتاصلة عند العرب. مجلة العربي ،(تاريخنا مع الاخر)،(٢٠٠٩)،ص٦–٧

ويلاحظ بقاء العادات والتقاليد العربية، وذلك لان اعدادا من المدن العربية الاسلامية سقطت في تلك

الفترة في يد قشتالة، وصار رعاياها تقريبا من المسلمين المثقفين،

لقد سرت الثقافة العربية الى المجتمع الاسباني، حتى اننا نجد ان اغلب الشباب المسيحي المثقف يقبل على قراءة الكتب العربية المختلفة، وهذا ان دل على يدل على انتشار الثقافة العربية في عهد الفونسو العالم، ويدل الى اي مدى وصل التاثير الحضاري العربي. العربي،(تاريخنا مع الاخر)،(٢٠٠٩)،ص٦–٧

ولابد ان نشير الى انه المدن الاسبانية في القرون الوسطى قد تاثرت بالمدن الاندلسية التي كانت تحت الحكم الإسلامي ، فعرفت الحمامات العامة التي انتشرت بين اليهود والنصارى ، وكذلك بين المدجنين او المسلمين الذين عاشوا تحت سلطان الاسبان ، وكان للملوك وأبناء الاشراف والرهبان وعامة الشعب حماماتهم ، كما ان البعض من الحمامات كانت تؤجر الى النساء المدجنات في مدينتي ميورقة الاندلسية التي مكانا للنفي لاغلب الشخصيات المتمردة طوال فترة الحكم الإسلامي فيها، ولأنها من الجزر الواقعة على البحر، ومدريد (مجريط)، ويوجد في الحي الإسلامي من مدينة ترسونا، من أعمال مدينة أراغون ، حيث بنى احد الأثرياء حماما سنة (٧٧٦هـ–١٣٧٥م)، كان يقصده أبناء المدينة من كل الطوائف، الا انه حظر على النصارى واليهود دخوله في أيام الأعياد الإسلامية وايام الجمع، ولكن بظهور رجال الدين الاسبان المتشددين في القرن (١٦م)، معارضتهم لعادة ارتياد الحمامات ، وكانت معارضتهم شديدة الى درجة حملت الملك فيليب الثاني(١٥٥٦–١٥٨٠م) الملقب بالحكيم، بإصدار امرا باقفال كل الحمامات في اسبانيا. فرحات، (غرناطة)،(١٩٩٣)،ص١١٢–١١٣.

ولعل سبب تسميته بهذا اللقب؟ لربما لانه وسع رقعة الامبرطورية وإيقاف الحروب الداخلية ومحاولة بناء علاقات صداقة مع الممالك الاوربية ، قد يتبادر الينا لماذا فعل هذا الملك هذه العادة؟ هل يريد انهاء التاثير الاندلسي العربي الذي امتد الى الممالك الاسبانية كقشتالة وأراغون؟ ام انها العنصرية الدينية للتخلص من اثار العرب الذين حكموا الاندلس لعدة قرون طويلة؟ ام ان التاثير الاندلسي اصبح قويا ومتواجدا حتى في حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم؟

لقد عرفت القرى الصغيرة في مملكة قشتالة حمامات الماء الساخن، الذي كان يعرفه الاندلسيين ، حيث كانت الحمامات مباحة للجميع ، فان النساء القشتاليات تعلمن النظافة ، من المرأة العربية الاندلسية المسلمة، كما تعلم المسيحيون من المسلمين الاسبانيين عادة غسل الموتى، ومن العادات والتقاليد التي اخذت من الاندلس عادة تغطية وجه النساء التي انتشرت بين النساء الاسبانيات، لاسيما النساء الموريسكيات ، واعتادوا الاوربيين وجود مجالس المرأة في بيوتهم ، تشبه تلك المجالس التي عقدتها الشاعرة القرطبية ولادة بنت المستكفي(ت٤٨٤هـ)، من اشهر شاعرات الاندلس ومن سلالة بني جهور التي حكمت قرطبة سنة(٤١٤هـ)،

ومن التاثيرات الاندلسية العربية التي انتقلت الى اسبانيا المسيحية، عادة تقبيل اليد والقدم ، والتي بقيت تستعمل حتى القرن (١٩م)، مثالا على ذلك كأن يقبل الفرسان يد حضرتكم ، أو كما يقف السيد أمام ألمرأة قائلا: اقبل قدمكم يا سيدتي ، وكان الشاعر الاسباني ماريانو خوسيه دي لارا ، على علم بالعادة التقليدية الماخوذة من الاندلسيين تقبيل يد الابن لابيه. كاسترو،(حضارة الإسلام)،(١٩٨٣)،ص٤٩.

ان الاسبان لم يغيروا المسحة العربية الاندلسية، التي لاتزال موجودة في مدينة طليطلة ، التي تمتاز بضيق شوارعها وهي عادة من عادات العرب، وقلة النوافذ وسعة الدور الداخلية، وحصانة الأبواب وغير ذلك من أساليب الاندلسيين في البناء ، ونجد الرهبان والراهبات مقيمين في أديار هي على الطراز الاندلسي العربي، اما الحي العربي في قرطبة التي تكاد تكون شوارعه مشابهة للشوارع الاندلسية التي تغطي الحي رائحة الزهور الزكية ، ومما يجدر بنا الإشارة بقتء بعض المدن الاسبانية باسمائها العربية مثل مدينة لوشة

الاندلسية التي ولد فيها المؤرخ ابن ابن الخطيب (ت٧٦٦ هـ) ،السخاوي،(الرحلة)،(١٩٨٣)، ص٤٠. وص١٣٠

ويتبين ان بقاء هذه أسماء هذه المدن بالعربية ، وهذا يدلنا على تاثر الاسبان بالاسماء الاندلسية؟ ولماذا تمسك بها الأوروبيين؟ هل انهم لايريدون انكار فضل العرب عليهم؟ أو انهم يبقون ماذا فعل الاندلسيين العرب بمدنهم بحيث انهم جعلوها مكانا يرتشفون منه؟

مما يستنتج ان الاسبان المسيحيون ، كان تاثيرهم واضحا بالتقاليد والعادات العربية الاندلسية، لانهم استمروا في البقاء عليها؟ وذلك لانها تعطي انطباعا ثقافيا حضاريا راقيا ، من حيث التعامل والاحترام ، للشخص الكبير ؟ للمرأة لانها كائن رقيق؟ وتقديرا لمكانة الاب في الحياة؟ ومن المعروف أن هذه الأمور لا يعرفها الاوربين بل انهم اقتبسوها من الاندلسيين العرب.

ومن العادات التي اخذها الاوربيين عن الاندلسيين الذين اختلطوا معهم كيفية التعامل مع نسائهم ، معاملة لطيفة حتى في داخل بيوتهم ، وأيضا كانوا يسمحون لهن بالدخول في المناقشات العائلية ، وكما تعلمن هولاء النسوة الاسبانيات كيفية تهيئة أنواع الطعام. بروفنسال،(حضارة العرب)،(١٢٩٠هـ)، ص٣٠.

ويتوضح لنا عندما تدخل البيوت الاسبانية سوف تجد الروح الاندلسية المسلمة من حيث نوع المعاملة والاثاث وترتيب والنظافة وغيرها.

وجد في احد شوارع مدينة ميورقة ، متحف أثري سمي باسم رايموندو لوليو الفيلسوف المتصوف الميورقي، وهو من تلاميذ الثقافة العربية الاندلسية ، فقد درس العربية واتقنها وفتن بالصوفي الاندلسي (محي الدين بن عربي)(ت ٥٥٨هـ) ، وقرا كل كتبه ، واقتبس منه الكثير ، لكن هذا المتصوف وبسبب عنصريته الشديدة للاسلام ، استعمل كل ما تعلمه لمحاربة التاثير الإسلامي خاصة الاندلسي، حتى انه رحل الى بلاد المغرب لكي يبشر بالمسيحية، وعندما عاد الى بلده لم ينصر مسلما واحدا. مؤنس، (رحلة الاندلس)، (١٩٦٣)،ص٢٨١.

ولابد من التوضيح ان العالم محي الدين الاندلسي الشاعر المتصوف، لقب بالشيخ الامبر واليه تنسب الطريقة الاكبرية الصوفية، ويلحظ ان كتاباته قد وجدت طريقها الى الطبقات الدنيا من المجتمع في فترة انتشار التيار الصوفي آنذاك، وقد أثر بشكل واضح في فلسفة رايموندو لوليو ودانتي. الاعظمي، (شعراء الصوفية)،(١٩٨٨)،ص٣٣٤.

مما يثير التساؤل لما كل الأساتذة والطلبة الذين يتقنون اللغة العربية والقشتالية، وياخذون من معارف المسلمين، متعصبي ومتشددين للمسيحية والتبشير؟ ولديهم حقدا عليهم؟ هل هذا نابع من الأماكن التي نشاؤا فيها؟ ام للكنيسة دورا في ذلك؟

وكما ينبغي التنويه الى انه عن طريق الاندلس انتقلت صناعة الورق الى غرب اوربا، ففي (ق ٧هـ/١٣م)،ادخل الفونسو صناعته الى مملكة قشتالة ومنها انتقلت الى فرنسا. أبو مصطفى، (تاريخ الاندلس)،(١٩٨٦)، ص٢٤٢؛ صبحي ،(فنون التعايش)، (د–ت) ،ص٧–٨.

ويستنتج ايضا عمل هذا الملك الحكيم بالاندلس، وكيف اوصل حضارتها الى اوربا، كصناعة الورق وغيرها، ومن بين التاثيرات التي نقلت من الاندلس الى اوربا ومنها فرنسا كبقاء لقب الملك المسلم الذي يتوارد ذكره اكثر من غيره في الملاحم الفرنسية، كانشودة رولان، وهو ملك مدينة سرقسطة الاندلسية ، الذي يرد ذكره في حديث ارزاق في مدينة وادي الحجارة في الاندلس، وهو اللقب الذي يطلق في الروايات الاندلسية التي تطلق على ارزاق صاحب وادي الحجارة، البطل المسلم الجريء ،وهو يذكره ابن القوطية مثالا على ذلك كلمة(منت mont ومنتيل montell) في صورة التصغير وتعني بالشعر القصصي الفرنسي

على فارس عربي حارب الى جانب شارلمان وهو أومنت، عيد، (الفنون الاندلسية)،(١٩٩٣)،ص١٥٠؛ وات، (تاريخ اسبانيا)،(١٩٩٨)،ص١٦٨.

ومما يلحظ ان الاثار الاندلسية في واضحة في الادب الفرنسي، حيث ان اغلب الاقاصيص المعروفة (الفابليو) هي خرافات يكاد يكون في معظمها من اصل اندلسي ماخوذ عن العرب الذين عاشوا فيها.

لقد بقت بعض التقاليد الاندلسية واضحة كاداء غنيمة الخمس للملك الاسباني ، تشابه تماما كما هي موجودة في الشرع الإسلامي، لقد تاثر الشعر القصصي القشتالي ، بذوق وعادات المسلمين الاندلسيين في مدينة غرناطة في الاندلس، في عهد بني نصر(٦٢٩هـ–٨٩٧هـ)، لابد من التوضيح ان المجتمع القشتالي ، كان متأثرا بالخصائص الإسلامية ومنها الكرم وتنظيم الجيش، كما انهم استعملوا مصطلحات العبادة الدينية في صورة قشتالية، مثلا (arra–arraquear أي الركوع، مستعملا arraqua التي تعني الركعة، في صورة مضيفا اليها النهاية ar ويقولون أيضا ANEFILES أي النوافل، جامعا لفظة نافلة جمعا قشتاليا ، وكذلك Adaheas أي الاضحيات. عيد ،(الفنون الاندلسية)،(١٩٩٣)،ص١٥٣.

مما يبدو هل انهم كانوا ملتزمين بالصلاة كالمسلمين الاندلسيين وأيضا يمارسون عاداتهم وتقاليهم كالاضحية في الأعياد؟ ام انهم فقط كانوا يعرفون هذه التقاليد؟

لقد انتقل فن القصص في (ق ١٢م)، حيث جمع بدرو الفونسو ، وهو يهودي اعتنق المسيحية، وجمع في سنة(١١٠٦م)، (٣٣) قصة اما عربية الأصل او منقولة عن طريق العربية فترجمها الى اللاتينية، ونشرها بعنوان(Disciplina clerialis)، ادب الكتاب ، والذي يهدف منه من اسمه؟ تثقيف الاديب، وانتشر هذا الكتاب انتشارا واسعا في أوروبا ، وقد ترجم الى العديد من اللغات للاستفادة منه، بروفنسال، (حضارة العرب)،(١٢٩٠هـ)، ص٩٤.

ويجدر بنا الاشارة الى ان بعضا من الامور التي بقيت في الحياة العامة كالبوصلة والادوات المعدنية والاسطرلاب والاسلحة وورق اللعب والالات الموسيقية، كالقيثارة والعود والبوق والطبل والرباب، ثم النواعير والنافورات والبرك وكيفية العناية بها ، واصناف الفواكة ومختلف انواع الطعام وغيرها، وانواع اللباس وتحجب المراة، فضلا عن التمازج العرقي، واستعمال اللغتين العربية والاسبانية معا مختلطتين في البيت والسوق.(المعموري، (اثر الادب الاندلسي) ،

،٢٠١١،ص٧؛ مصطفى،(الاندلس)،(١٩٨٠)،ص١٦٧.

وكما عرف الاسبان لعبة الشطرنج، حيث ورد اول وصف لها في مدونة الفونسو، وكذلك بقاء استعمال فن الزخرفة والفخار الاسلامي والخط الكوفي في كتاباتهم.(شاكر، (الاندلس)، (١٩٨٠)،ص ١٦٧؛ بروفنسال،(حضارة العرب)،(د–ت) ،ص١٠٤–١٠٥).

–التاثيرات الحضارية في الاندلس:

أ–التاثيرات الثقافية:

فكانت مدينة طليطلة(مدينة منيعة كبيرة بالاندلس، اجل مدنها قدرا واكثرها خيرا، تسمى مدينة الملوك، ولها طيبة وهواء لطيف، ينظر: اليعقوبي، (البلدان،(٢٠٠٢)،ص٤٨؛ القزويني، (اثار البلاد) (١٩٦٠)،ج١،ص٢٢٤) التي عدتّ مركزا للثقافة الاسبانية، العاصمة القوطية السابقة والتي ترعرعت فيها الحضارة الإسلامية طول الحكم الإسلامي فيها، فاصبح مجتمعها خليطا، بين مختلف الفئات، واللغة فيها ممزوجة بين العربية والرومانسية التي هي احدى اللغات الاسبانية القديمة، مما فتح للاوربين لكي يدخل الفكر الإسلامي الاندلسي خاصة الى الفكر الأوربي عن طريق اهم وسيلة لايصال العلوم والمعارف عن طريق الترجمة الى اللغة اللاتينية لغة الام ، وهي تعد لغة التفاهم والتقارب في أوروبا،ولعل مدينة طليطلة

تفوق أي مدينة من المدن التي أقامها العرب في اسبانيا،لان غالبية سكانها من النصارى الذين استعربوا ،واتخذوا من اللغة العربية لغة لهم، وذلك لمعرفتهم بها حتى في صلواتهم في الكنائس وعلى الرغم من انها من أوائل المدن التي سقطت بيد الاسبان سنة(٣٧٨هـ)، وقد بقت اللغة العربية تستعمل الى جنب اللغة القشتالية ، وبقيت اللغة العربية تستعمل الى سنة (١٥٨٠م)، ولم تختف اللغة العربية الا بعد استعمال القوة من قبل حكام اسبانيا، لمعاقبة كل من يتكلم أو يكتب باللغة العربية، كانت لغة التعاقد والمبايعة، كانت تستعمل أيضا لتبادل الاسرى المسلمين، السخاوي، (الرحلة)، (١٩٨٣)، ص٦٧–٦٨.

بدات عملية تعريب باشراف رئيس الأساقفة ريموندو كبير مستشاري ملوك قشتالة(١١٢٦–١١٥١م)، وبمساعدة البعض من اليهود الذي هربوا من الحكم المرابطي في الاندلس (٤٨٣–٥٤١هـ)، لانه كما عرف عن المرابطين انهم شديدي التدين فضلا انهم يملكون خشونة الصحراء التي جاءوا منها ، فلهذا نجد ان اليهود جاءوا الى طليطلة ، الذين يعرفون اكثر من لغة فضلا عن العربية ، فاصبحوا مترجمين للنصوص العربية الى اللغة اللاتينية، وهذا يعد عملا تاريخيا هاما في تلك الفترة ، فقد بدات بتعريب الكتب الطبية والأفكار الجدلية كالفلسفة، ولم تتجه الى الادب والشعر، والذي تولى هذه الجماعة ريموندو ، باسم مدرسة المترجمين في (ق ١٢–١٣م)، التي اهتمت فقط بترجمة كتب الطب والحساب والفلك والرياضيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والفلسفة وماوراء الطبيعية والمنطق والسياسية،ومنها كتب الفلاسفة اليونانيين ارسطو وافلاطون، مع شرح المسلمين لها، ومؤلفات العلماء اقليدس وبطليموس وجالينوس وابقراط والخوازمي وابن سينا، وكان العمل يتم تحت أشراف أسقف مدينة شقوية الاسبانية وأسقف مدينة طليطلة خيمنس دي راد (١١٧٠–١٢٤٧م)،تحت اشراف الملك الفونسو السابع الملقب بالامبرطور،(١١٠٥–١١٥٧م) ، وسبب تسميته بهذا اللقب ؟ لانه حكم مملكة جليقية وليون وقشتالة، وكان يتقن لغات كثيرة واهمها العربية ، وقد كتب حولية الطليطلي، ولقد تاسست فيها جمعية الوعاظ ، وهي اول مدرسة للدروس الشرقية في أوروبا سنة(١٢٥٠م)، الهدف منها تدريب المبشرين ، لكي يتم ارسالهم الى المسلمين واليهود للتبشير بالدين المسيحي، وقد تم فيها اول ترجمة للقران الكريم باللغة اللاتينية سنة (١١٤٣م)، عيد ،(الفنون الاندلسية)،(١٩٩٣)، ص١٩؛ مصطفى، (الاندلس)،(١٩٩٠)،ص١٦٣–١٦٤.

مما يستنتج ان مدينة طليطلة تعد من اهم مراكز نقل التعليم العربي الى الغرب ، والسبب في اتجاه مدرسة طليطلة الى ترجمة الأفكار العلمية الجدلية،وقلتها بالناحية، لربما يعود الى عدم وجود أساتذة متخصصين في اللغة وفنونها، فضلا أن مواضيع الفلسفة من الأمور التي تثير المجتمع وتدفعه الى البحث والتقصي، ولابد من التنويه في الأوقات اللاحقة ، أصبحت مدرسة طليطلة مكانا للتبشير بالدين المسيحي من خلال تدريب اساتذتها، وارسالهم للمسلمين واليهود.

مما يدلل التعاون العلمي بين المسلمين والنصارى واليهود، من اجل نشر الثقافة الاندلسية،وعن طريقها تعرف الشاعر دانتي(الشاعر الفلورنسي الايطالي اليجيري،(١٢٥٦/ ١٣٢١م)، وعائلته من العوائل النبيلة ذات النسب العريق،ينظر:ديورانت، (قصة الحضارة)،(د–ت)،ج٧، ص١٢١؛ جلال، (حضارة الإسلام)،(د–ت)،ص٣٠–٣١) على هذه الثقافة ولاسيما في مجالي العلوم والاداب عن طريق استاذه برونيتو لاتيني المفكرالايطالي الشهير(ت ٦٩٤هـ–١٢٩٤م)،( )، عندما اتصل بعلماء المسلمين الذي كان في مهمة في طليطلة ،في عهد الفونسو العاشر ،مما يلحظ ان هدف الملك من حركة الترجمة الى اهمية معرفة اللغات واثرها في ايصال الافكار الى العالم الاوربي، وهذا مما حفز الملك بتأسيس اول معهد للدراسات الشرقية في طليطلة سنة(٦٤٨هـ/ ١٢٥٩م)، لتعليم اللغتين العربية والعبرية، وتوعية الافكار الثقافية.(ديورانت، (قصة الحضارة)، (د–ت)،ج١٧، ص٣٥–٤٣؛ ذنون، (دراسات)،(٢٠٠٤)،ص١٦٧.)

لقد قدمت مدرسة طليطلة اهم عمل وهو استعمال اللغة القشتالية (الاسبانية القديمة) بدل اللغة اللاتينية، في تدوين المصنفات، باشراف الملك الفونسو العاشر ، لقد استعمل هذا الملك سياسية مغايرة عن بقية الملوك الاسبان، وهي الانفتاح على الادب والفكر الشرقيين، رغم من مخاصمته المسلمين سياسيا، فقد بلغ الاهتمام بالثقافة الاندلسية والاسلامية في عهدة ذروتها، ورغم حكمته وعلمه، الا انه فشل كرجل دولة، فقد حدث في عهده تمرد سانشو (ملك ارجون في زمان المعتمد بن عباد، وهو اخو ولي العهدالفونسو السادس، ملك قشتالة وقد حاول سانشو السيطرة على بعض المدن الاندلسية، مما سبب رعبا لملوكها، كابن هود امير سرقسطة، وامير بطليوس: فرحات، (غرناطة)،(١٩٩٣)، ص١٠٢)على والده سنة (١٢٨٢م)، واحتكم الى السلاح مفجرا بذلك نيران حرب اهلية، وقف فيهامدافعاعن النبلاء في مواجهة الملك، لكن وفاة الفونسو الاب في اشبيلية في الاندلس ، التي وضعت حدا لهذه الحرب وحسمت الموقف لصالح سانشو. (مدينة كبيرة بالاندلس بقرب لبة، امتازت بطيب الهواء، وعذوبة الماء،وكثرة الثمرات من كل نوع، وبها قاعدة ملك الاندلس وسريرة، وبها كان بنو عباد،ولمقامهم بها خربت قرطبة، الزهري، (الجعرافيا)، (١٩٦٨)،ص٣٩؛الحموي، (معجم البلدان)، (١٩٩٥)، ج١،ص١٥٥؛ القزويني، (اثار البلاد)،(د–ت)،ج١، ص٢٠٣.)

ولقد واجه الفونسو العاشر في المرحلة الاخيرة من حياته، عدة ازمات منها: وفاةولي العهد ابنه فرناندو سنة(١٢٧٥م)، وتمرد النبلاء داخل الاسرة الحاكمة، ومحاولة فاشلة لغزو الجزيرة الخضراء(مدينة مشهورة بالاندلس، وقبالتها من البر بلاد البربر(سبته) واعمالها، وبينها وبين قلشانه اربعة وستون ميلا، وهي على ربوة مشرفة على البحر سورها متصل به، وبشرقيها خندق وغربيه اشجار تين وانهارعذبة، وتعرف بجزيرة ام حكيم،نسبة الى جارية القائد طارق بن زياد، ينظر: الزهري،الجعرافيا، (١٩٦٨)،ص٢٤؛ابن بطوطة،(الرحلة)،(١٩٩٩)،ص٨٣)، فضلا عن مواجهة الغزو المريني (ملوك المغرب).(ينظرابن (الكامل)،(١٩٦٦)،ج١،ص١٤٨؛ابو الفداء، المختصر)،،(د–ت)،ج١، ص٤٦٥؛ ابن خلدون، (العبر)،(١٩٧١)، ج٣،ص٣١٤

لابد من الإشارة الى ان شخصية الفونسو العاشر ،كان لها دورا هاما في نقل الثقافة العربية الاندلسية الى الممالك الاسبانية واوربا،اذا ان الاهتمام بلغ الذروة في عهدة ، ومن بين الاعمال التي ترجمت في الربع الثالث من القرن الثالث عشر الميلادي، وتعود لنفس الملك الاسباني وصف مفصل ومطول لعروج النبي الى السماء بصحبة جبرائيل ، وقد اثار المستشرق ميجيل اسين بالاثيوس في أوساط العلماء بطرحه لنظريته حول ان الكوميديا الإلهية لدانتي ، كانت متاثرة بالمادة الوافدة من حكايات المسلمين المتعلقة حول عروج النبي (ص) الى السماء، وها يعكس مدى التاثر الحضاري الثقافي للعرب على أوروبا، لابد من الإشارة الى ان الكوميديا الإلهية تشبه الى حد ما قصة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) الى السماء، مما يبدو الينا ان هذا الامر يعكس ما هو مدى تاثير الاندلسيين بالاوربيين لاسيما في الجوانب الثقافية ، لانهم نقلوا لهم ثقافات إسلامية عربية لم تكن أوروبا تعرفها، وامر بان يترجم الانجيل الى الاسبانية،وامر بان ينقل القران الكريم اليها، وترجم قصة السندباد البحري، وترجمة قصتي بونيوم و كتاب سر الاسرار في الحكمة، لابوسليمان السجستاني، منزله مقيلا لاهل العلوم القديمة وله اخبار وحكايات ورسائل الى عضد الدولة في فنون مختلفة من الحكمة (القفطي، (اخبار الحكماء) (د–ت)،ص١٢٠؛ ابن ابي اصيبعة، (عيون الانباء) (١٩٦٥)، ص٢٨١–٢٨٥.). عيد، (الفنون الاندلسية)،(١٩٩٣)،ص١٧٥–١٩٢.

وادخل هذا الملك في ثنايا تاريخه العام لاسبانيا، مواد عربية تاريخية واسطورية، ومنها قصة النبي يوسف وزليخا، واستخدم الموسيقى الاندلسية في وضع اناشيده الذائعة الصيت، فضلاعن ترجمة كتب عديدة

في العلوم والفلك.(عيد، (الفنون الاندلسية)، (١٩٩٣)،ص٨٠-٨١، مصطفى، (الاندلس)،(١٩٩٠)، ص ١٦٥؛هونكة، شمس الغرب)،ص٧٥٦؛ ذنون، دراسات)،(٢٠٠٤)، ص١٦٥؛ كاسترو، (حضارة الإسلام)، ١٩٨٣،ص١٩٥)، ويعني ذلك ان الفونسو الحكيم، قد شارك هو بنفسه في ترجمة المؤلفات الهامة، ويبدو انه على معرفة باللغة العربية ، فضلا عن معرفته باللغة القشتالية، وبالتالي يعكس أهتمامه بنقل العلوم والمعارف، لانه قد يكون نشا في جو مفعم بالروح العلمية العامل الاكبر في نقل التراث الاسلامي الى مملكته قشتالة، حيث كان لليهود دورا بارزا في هذه الفترة في دفع وتقدم الحركة العلمية في اسبانيا حيث قدموا الى ملك قشتالة الفونسو العاشر،اغلب عمال الفريق الذي شكله في القرن الثالث عشر الميلادي، للقيام باعمال الترجمة، بروفنسال، حضارة العرب،(١٢٩٠هـ)، ص١٠٣. حيث بلغت ترجمة معارف العرب وعلومهم ذروتها في عهد هذا الملك الذي كان ياوي اليه العديد من الشعراء، فضلا عن التفاف جماعة من المثقفين من مسلمين او نصارى او يهود حوله، واشرف بنفسه على توجيه الترجمة والاقتباس والنشرحيث تم بفضله نقل الكثير من مولفات العرب والمسلمين، الادبية والفلسفية الى اللغات الاوربية وكما امر هذا الملك بنقل القران الكريم الى اللغة الاسبانية ، عباسة، (العلاقات الثقافية) ،(٢٠١٣)،ص ٩-١٠.

يعد هذا العمل العلمي الكبير الذي انجز تحت اشراف هذا الملك، هو مدونته التاريخية الكبرى المعروفة باسم التاريخ العام لاسبانيا، والتي تضم مصادر عربية مفقودة، مثلا كتاريخ احمدالرازي القرطبي(ت ٣٤٤هـ/٩٥٥م)(١٦)،والملاحم التاريخية كالحاجب المنصورالعامري(هو عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر العامري المعافري،يكنى أبو مطرف،حاجب الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة واخر العامريين، ينظر: ابن بسام،(الذخيرة)، (١٩٧٩)، ق٢،ج٧،ص٢ ؛ابن عذارى ،(البيان المغرب،(١٩٨٠)، ج١،ص٢٦٥؛الزركلي، الاعلام ، (د-ت)،ج٣،ص٣٢٥ ، ومعاركه وغيرها، وكلها باللغة العربية، وتتصل اتصالا مباشرا بحياة الناس وتترد على السنتهم على شكل اشعار. عباسة، (العلاقات الثقافية) ، (٢٠١٣)،ص٩-١٠ ، حيث تعكس لنا ان الحولية التاريخية الكبرى للملك الفونسو العاشر،هي مثل رائع لذلك الدور الذي قامت به الاندلس، كجسر حضاري امتزجت فيه حضارتا الشرق والغرب.

ومما يلحظ ان فكرة الملك الفونسو العاشر بتبني حركة الترجمة في المعاهد التي انشاها من خلال تقديم الأموال والرعاية، ومنها على سبيل المثال معهدا للترجمة في مدينة مرسية الاندلسية* (قاعدة تدمير، بناها الامير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دار العمال وقرار القواد، وهي على نهر كبير يسقي جميعها، ولها جامع وحمامات واسواق عامرة، كثيرة الشجر والاعناب، الاصطخري، (مسالك الممالك) ،(١٩٦١)، ص١٥؛ الزهري، (الجعرافيا)، (١٩٦٨) ،ص٤٩)، للدراسات، برئاسة الرقوطي الفيلسوف المسلم(محمد بن احمد بن ابي بكر الرازي الرقوطي المرسي، عارفا بالفنون القديمة، من المنطق والهندسة والطب والموسيقى، وبقي في وطنه مرسية حتى بعد تغلب الاسبان عليها سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م)، ولم يغادرها الى ان حاول الملك الاسباني اجباره على اعتناق المسيحية وعلى اثرها سافر الى غرناطة، وبقي فيها الى ان توفي، ينظر:ابن الخطيب، (الإحاطة)،(١٩٧٢)، ج١،ص٣٦٨؛ ابن حجر،(الدررالكامنة)،(د-ت)،ج١،ص٤٧١؛ عنان، (عصرالمرابطين)، (١٩٨٨)،ص٢١٨، ومساعدة بعض علماء المسلمين والنصارى واليهود، الا اننا نجده لم يقتنع بهذا العمل فقرر نقله الى مدينة اشبيلية ، وانشا فيها مدرسا وجعل فيها أساتذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم ، ، ولأنه وجد هذه المدرسة حققت نجاحا باهرا في التعريب والتدوين والتدريس، لان العديد من المدن الاندلسية قد سقطت بيد قشتالة، واصبح نصف رعاياها من المسلمين المثقفين ، وأصبحت المكتبات العربية بما تحويه من مختلف كتب الثقافة تحت الحكم

القشتالي الجديد الذي يحكمهم. مصطفى، (الاندلس) ، (١٩٩٠)،ص١٦٤.

ومما يتبين لماذا نقل الملك الفونسو العاشر المعهد الى مدينة اشبيلية؟ ولماذا لم يوفق في عمله في مدينة مرسية؟ وماهي الأسباب التي دفعته الى هذا الاختيار؟ لربما بسبب الموقع الجغرافي لمدينة اشبيلية قديمة البناء، من اهم المدن واكبرها وهي قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها، تقع على ضفة نهر الوادي الكبير، وفي عهد ملوك الطوائف حكمها بنو عباد(٤١٤-٤٨٣هـ)، فارتفع شانها كثيرا وأصبحت عاصمة الاندلس حتى في زمن الحكم الموحدي (٥٤١-٦٢٩هـ)، كانت اشبيلية عاصمة الحكم والإدارة والسياسية مما يعني مدينة لها مكانتها السياسية والإدارية الهامة، فتكون جاذبة للعلماء والطلاب للدراسة فيها؟ اما مدينة مرسية فهي قديمة تقع على ضفة النهر المبارك، ولاتمتلك المقومات التاريخية التي تمتلكها اشبيلية؟ ينظر: مجهول، (ذكر بلاد الاندلس)،(١٩٧٠)،ص٦٠-٧٠.

وأيضا لربما أن الملك الفونسو العاشر قد نقل العالم الرقوطي، الى مدرسة اشبيلية ، لربما للنجاحات العلمية التي حققها في معهد مرسية، وأيضا دليلا واضحا على كفاءته العلمية، في إقامة معهد للتدريس والترجمة شملت كافة العلوم ومنها نقل التراث والارث الحضاري الإسلامي الاندلسي، والتي تعد من اهم مراكز نقل المعارف والعلوم الاسلامية الى الغرب ، لقد شجع هذا الملك على ترجمة الكتب الفلسفية التي اشتهرت بمايعرف بالصوفية المسيحية في اوربا، بروفنسال، (حضارة العرب)،(١٢٩٠هـ)، ص١٠٤، حيث تخرج منها عدد ممن ترجم النصوص الخاصة بالتنجيم، وقراءة الطالع استمرت الى القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي هذه المراكز تمت ترجمة العديد من امهات الكتب العربية الى اللسان اللاتيني والاسبانية، ولالفونسو نفسه كتابات نثرية تتضح فيها المواثرت العربية في الاسلوب والبنية والخيال، وقد ترجمت العديد من الكتب من العربية الى اللاتينية ككتاب كليلة ودمنة لابن المقفع ، اسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور، وله كتب ورسائل عديدة والفاظ صحيحة، وكان متهما بالزندقة، وهو الذي عرب كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية وكتاب مختار الحكم للمبشر ابن فاتك الأمير ابوالوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك، وكتاب مختار الحكم الامري، من اعيان امراء مصر وافاضل علمائها، دائم الاشتغال، محب للفضائل وقد اقتنى كتبا كثيرة، وله كتاب في الطب والمنطق وترجمة عشرات كتب الفلك ،كان له اثره في تقدم الدراسات العلمية في اسبانيا، ومنها انتقلت الى اللغة الاسبانية،ولعل ذا يعود الى السياسية الانفتاحية التي انتهجها الملك في فتح باب الترجمة من العربية الى الاسبانية واللاتينية. ينظر : (ذنون، (دراسات) ،(٢٠٠٤)، ص١٨٧؛كاسترو، (الإسلام)،(١٩٨٠)، ص١٠٧؛ واط، (تاريخ اسبانيا)،(١٩٩٣)، ص١٦٧؛(مجلة مركز دراسات الاندلس ،(٢٠٠٦)، ص٣؛مظهر،(حضارة الاسلام)، (د-ت)، ص١٣٣.

مما يلحظ ان هدف الملك من حركة الترجمة الى اهمية معرفة اللغات واثرها في ايصال الافكار الى العالم الاوربي، وهذا مما حفز الملك بتاسيس اول معهد للدراسات الشرقية في طليطلة سنة(٦٤٨هـ/ ١٢٥٩م)، لتعليم اللغتين العربية والعبرية، وتوعية الافكار الثقافية ، فقد عدتّ مبادرة الملك الفونسو العاشر، بانها قد سبقت عصره ، عندما يتم تدريس تاثير الثقافة العربية الاندلسية، على مولفات اوربا الغربية التي تلي ذلك الزمن، ولاسيما في التاليف الفلسفية،

عندما كان الادب في الاندلس رافدا من الروافد التي صبت في الادب الاسباني بوجه خاص، وفي الادب الاوربي بشكل عام، ولا ننسى ان الاندلس احدى المعابر الهامة لنقل التاثيرات الحضاري الى اوربا بحكم الموقع الجغرافي بينهما. بروفنسال ،(حضارة العرب)،(١٢٩٠هـ)، ص١٠٤؛ المعموري، (الادب الاندلسي)،(٢٠١١) ،ص٧.

ولابد من الإشارة الى نقطة ان القساوسة هم الذين اخذوا على عاتقهم ، ترجمة المؤلفات الإسلامية الى العديد من اللغات ، ومنهم القس جان دي صوصة (١٧٧٤/ ١٨١٢م)، الذي صنف معجم الالفاظ الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية، وحوى المعجم حوالي ثمانيةعشر الف كلمة مشتقة من ذات الأصل العربي، كتب المعجم باللغة الاسبانية والبرتغالية ، والف المبشر بدرو الذي طبع كتابين عن اللغة العامية في غرناطة،في حين قام دون خوان مانويل (١٢٨٢–١٣٤٩م)، ابن الامير مانويل شقيق الفونسو الحكيم، المسمى بالطاغية ولانعلم سبب تسميته بهذا الاسم لربما اذاق شعبه بالويلات والتعذيب ، بتنظيم قصيدة باللغة تجد في ثناياها، عبارة عن مجموعة من القصص الشرقية، وهذا يدل على التاثير العربي على الاسبان. ترند، (اسبانيا والبرتغال)،(١٩٨٣)، ج١،ص ٣٨؛ حتي، تاريخ العرب، (١٩٥٠)، ج٢، ص٧١٢.

واذا كان الملك دون خوان مانويل فعلا طاغية؟ هل من المعقول ان يتبنى حركة التاليف والترجمة؟ ماهو السبب الذي دفعه الى ذلك؟هل لمعرفة الإرث الحضاري للعرب ونقله اليهم؟ ام الاستفادة من هذه العلوم خاصة في النواحي الطبية؟

ومن الامور التي انتقلت من العرب الى الاندلس ثم الى الممالك الاسبانية ، وهي نوعا من انواع الفنون الادبية، كالمواعظ الاخلاقية، وهي عبارة عن مجموعة من الحكم والامثال والتي عرفها الاسبان عن طريق الاندلسيين، ولاسيما المواعظ السياسية الأخلاقية في اسبانيا في عهد ملك مملكة قشتالو وأراغون فرناندو الثالث (١٢١٧–١٢٣٠م) والفونسو العاشر ، ماالذي يقصدونه بالمواعظ السياسية الأخلاقية ، هي عبارة عن فن أدبي شاع انتشاره في عهدي الملكيين المذكورين أعلاه، الذي يرتكز على مجموعة من الحكم والامثال عرفها الاسبان عن طريق ما صنفه العرب فيها ، او نقلوه عن غيرهم ، ومن اهم هذه الكتب ، كتاب العلماء الاثني عشر، او كتاب في النبل والإخلاص التي تتناول في مضمونها مجموعة من الحكم ذات الطابع السياسي ، اما كتاب زهور الفلسفة وهو عبارة عن مجموعة من الاقوال المأثورة تنسب الى الفلاسفة والبعض من حكماء المشارقة، وكتاب بونيوم او الاقوال الذهبية، وهو مقتبس من كتاب الامثال لابي الوفاء مباشر بن فاتك الذي جمع فيه مجموعة من أقوال الفلاسفة العرب واليهود والهنود. عيد ، (الفنون الاندلسية)، (١٩٩٣)،ص١٩٤؛ بالنثيا، (تاريخ الفكر الاندلسي)، (د–ت)، ص٨٧–٩٣.

مما يستنتج ان الاسبانيين قد تاثروا كثير بفن القصص الأسطوري ، لربما لهذا النوع من الفن فيه مزيج بين الحقيقة والخرافة ، فيجعل وصولها الى الناس اقرب، واكثر تقبلا، ويلحظ أيضا تركيزهم على فنون المواعظ السياسية أي دمج الحكمة بالسياسية ، حتى يتقربون الى المجتمع ، او انهم يحاولون إيجاد فهم للسياسية،انها ماخوذة من فنون الحكمة، وانهم يتممتعون بهذه الصفة ، لاسيما وانها ظهرت في عهدي الملكين فرناندو الثالث والفونسو العاشر اللذان عرفا بالحكم.

لقد استعمل القشتاليون في رواياتهم الأسلوب القصصي الذي يحاكي الأسطورة كالروايات والاساطير الموجودة عن العرب المسلمين ، واحاديث العجائب ، مكتوبة باللغة القشتالية، منها قصة(النبي موسى عليه السلام)، مع يعقوب الجزار، التي تشبه قصة (الهالك لعدم ثقته بالله) ، للكاتب الاسباني تيرسو دي مولينا، ومن الاساطير (ما يتعلق بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، (علي بن ابي طالب)(عليه السلام)، كحديث قصر الذهب وقصة الثعبان وغيرهامن الاساطير الأخرى كقصة حديث حمام المغني زرياب*(١٧٣–٢٣٤هـ) ، وأيضا قصص الفروسية منها حكاية المقداد والمياسة، حديث المقداد السعيد مع المياسة ابنة عمه الملك جابر ابن ابي ضرار،عيد ،(الفنون الاندلسية)،(١٩٩٣)، ص١٥٨.

مما يدل ان الأوروبيين كانوا على علم بأسم النبي وال بيته (عليهم السلام)، وهذا دليلا يعكس مدى التاثير الحضاري الثقافي للممالك الاسبانية، والذي يشير بوضوح تام الى ان الاسبانيين كانوا معجبين او

لربما متاثرين بهذه الفنون ومنها فن القصص الأسطوري، وانه لاقى اعجابا لديهم، لربما فيه جزءا يلامس حقيقتهم.

لقد مال الشعر الاسباني الى الشعر الرومانسي المعروف عند العرب في الاندلس، واتبعوا أيضا القواعد التقفية التي اتبعها الشعر الشعبي الاسباني والبروفانسي، وأساليب صياغتها عربية، بما فيها الزجل العربي ومقطعات الأغاني ، واوائل شعراء التروبادور(وهو من أنواع الشعر الذي اشتهرت به اسبانيا)، الذين استعملوا القوالب الزجلية الاندلسية ذات الاغصان والخرجات (الروندو)، ثم انتقل بعد ذلك الى إنكلترا وألمانيا والبرتغال وإيطاليا، ويظهر واضحا في أغاني الفونسو العاشر ، وأسقف هيتا خوان رويس في أنشودة العربيات الثلاث وغيرها، وازدهر الادب القصصي الشعري الشعبي في الاندلس ، والذي نجده موجودا في الشعر القصصي الاسباني والفرنسي، وكان موضوعه الأساس السخط على الاقطاعيين بالطابع الفروسي وقصص الحب، او برواية قصص الأنبياء، ولابد من الإشارة الى ان الطبقة الرسمية المثقفة الاسبانية، تستعمل اللغة الرسمية الفصيحة، والشعر الموزون المقفى اللذان كانا لغة السادة والشعر الرسمي. مصطفى،(الاندلس)،(١٩٩٠)، ص١٦١، ومن القصص المتاثرة بالاصول العربية، مؤلف سلك الكتاب وفيه (٣٣)، أقصوصة يرجح انها كتبت باللغة العربية، لربما من طريقة الأسلوب العربي؟ او عرض الفكرة التي فيها شعرا شعبيا عرف به العرب في الاندلس، ثم ترجم هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية قبل ان يتم تقديمها الى ملك اراغون في القرن (٦هـ–١٢م)، وقد ذاع الكتاب ولاهميته ترجم الى عد لغات. مصطفى، (الاندلس)،(١٩٩٠)، ص١٦١.

مما يبدو لنا ان هذه التاثيرات نتجت عن التعايش السلمي الموجود بين فئات المجتمع المختلفة ، وأيضا من خلال عامل اخر مهم وهي اللغة المشتركة التي يتكلمها الناس ، وهنا قد يتسائل باحث هل الشعب الاسباني يتكلم اللغة العربية؟ لابد من التوضيح نعم ؟ لان هناك فئات مثل المستعربين*() الذين يعرفون ويتكلمون اكثر من لغة وينطبق نفي الحال على المدجنيين*() ، حتى البعض من المسحيين الاسبان يتحدثون بعدة لغات واليهود أيضا، مما يلحظ ذلك في أغاني الملك القشتالي الفونسو في معظمها التي التزمت ببناء الزجل العربي ، اذن بدا الاسبان يميلون أيضا الى الشعر الشعبي القريب الى النفوس الذي عرفوه من العرب.

لقد تم تأليف هذه الاغاني أنما باللغة الجليقية، لانها اللغة الأساسية لديهم وليست باللغة القشتالية ، حيث كان هذا الملك من الداعين للعلوم الاسلامية في اسبانيا النصرانية ،واليه يرجع الفضل في وضع تلك المجموعة الشعرية الرائعة وهو من كتب قصائدها التي ترجع موسيقاها في راي ريبيرا(خوليان ريبيرا (١٢٧٤/ ١٣٥٤هـ)، مستشرق اسباني تتلمذ عليه جمع من المستشرقين الاسبان، وعلى راسهم اسين بلاسين، وانجل بالنثيا، وهو انسانا وعقلا وهاجا، ويجيد اللغة العربية قراءة، ينظر: الزركلي، (الاعلام)،(د–ت)، ج٣، ص١٦٣، الى اصل اندلسي اسلامي، ومنها اسطورة السيد القمبيطور الملحمة الشعرية التي يبدا بها الادب الكاستيلياني ملحمة السيد التي تتحدث عن شخصية معروفة في الصراع بين المسيحية والإسلام، ولابد من الإشارة الى ان الملحمة غير موجودة لدى العرب انفسهم؟ وهذا يدفعنا الى القول انه هذه الملحمة هي اسطورة شجاعة قادتهم؟ او فعلا هي شخصية موجودة في الادب القصصي القشتالي، أراد الاسبانيين اشاعتها لتظهر فيها ،فالسيد عند الاسبان هو سيدان (سيد التاريخ وسيد الأسطورة). ينظرون اليه كمثل اعلى للبطل القشتالي في تلك الفترة، ولم تقتصر الأغاني على تخليد هذا البطل في(أيام السيد)، فهي تاريخ روائي شبيهة في اسلوبها بالروايات التاريخية في كتاب الف ليلة وليلة، وقد نظمت باللغة الاسبانية وحدها اكثر من مائتي قصيدة في مدحه ، لم يكن نشاط الترجمة القائم دينيا يهتم بالادب ، لكن هذا النشاط قدم

اسهاما كبيرا بالنسبة للادب الغربي في العصور الوسطى، كما تم جمع مجموعة من التقاويم الفلكية باسمه، والعديد من الشرائع تظهر المؤاثرت فيها باللغة العربية، ويراعى الشعراء الافرنج واليهود والمسلمين، حيث عد هذا الكتاب نفسه اساسا للتشريع الاسباني. مكي،(ملحمة السيد)،(١٩٨٣)،ص٦٤.

كما وقد عرف الاسبان الشعر الغنائي العربي (شعر الحب والغزل والعاشق والمعشوق)، والذي انتقل اليهم من العرب، وعرفوا ايضا شعر الموشحات والازجال ،ونلحظ هذا التاثير المتبادل في مجال اللغة والشعر بسبب الامتزاج الذي حدث بين العرب والسكان الاصليين، ولاسيما في حالة المصاهرات ودخول العديد من الاسر في الدين الاسلامي. مصطفى،(الاندلس)،(١٩٩٠) ص١٦٥.

وقد برزت العديد من الاعمال الادبية الكبرى الاسبانية، التي تنتمي الى عهد الملك الفونسو العاشر، والتي كان يصححها بنفسه، والتي صنعت بايدي العرب بالطبع والالات والأجهزة اللازمة لذلك العمل ، ويظهر تاثير الشعر الاندلسي على الاعمال الادبية الاسبانية التي تعود للمسيحين المنتمين لمملكة قشتالة. كاسترو، (حضارة الإسلام)،(١٩٨٣)،ص٤٢–٤٤.

وهذا يدل على ان العرب ساهموا مساهمة فعالة في المعرفة الثقافية ولاسيما في النواحي العلمية والطبية والفلسفية، والادبية في اللغة الاسبانية (القشتالية). لانها لغة الدولة الرسمية ومن الطبيعي ان تكون بها.

ونختتم بحثنا ، حول أسباب اهتمام حكام قشتالة بالعلم دون بقية حكام اسبانيا، وجدنا ان تفسيرها يعود الى ان هولاء الامراء الاسبانيين أنها مظهر من مظاهر التامل الفكري الا وكان يثير اهتمامه، وكان ان ينتقل مركز الثقافة من جنوب شبه الجزيرة ووسطها، كاقطولونيا (كاتالونيا، منطقة تقع في شمال شرق اسبانيا، من سبعة عشر من مناطق الحكم الذاتي في اسبانيا، عاصمتها مدينة برشلونة، المنطقة مقسمة الى اربع مقاطعات،هي برشلونة، جرندة، لاردة، طراغونة، راشيل، (مركز دراسات الاندلس)،(٢٠١١) ص١١٠، وبروفانسيا(الواقعة في جنوب شرق اسبانيا، وتمتد من البحر المتوسط الى داخل البلاد،وتتاخم ايطاليا، وتشتهر المدينة بوجود مساحة كبيرة من زهور الخزامي فيها، مشكلة بحرا منها، راشيل، (مركز دراسات الاندلس) ، (٢٠١١)، ص١١٠.)، وكما ان العصر الذي كان يحكم فيه هذا الملوك اصبح جهد اعادة الفتح يوشك تقريبا، ان يشرف على النهاية، مع العلم لازالت اسبانيا التي اعيد فتحها مستعربة الى حد بعيد، حيث اخذ ملوكها يحنون بالفائدة التي من الحالة الراهنة التي يجب ان تتبدل بالضرورة على مر السنين، لذلك فانه عمل على القيام تحت رعايته بمشروع ضخم للترجمة والاقتباس الى القشتالية، من تركة الثقافة العربية التي اورثتها البلاد، بالتعاون في هذا العمل مسلمون ومسيحيون ويهود. بروفنسال، (حضارة العرب)،(١٢٩٠هـ) ،ص ١٥٥؛ (الحضارة العربية)،(١٩٧٩) ،ص ١٢٠و١٣٠و١٣٥

الاستنتاجات:

من خلال بحثنا نتوصل الى العديد من الاستنتاجات من البحث وهي كالاتي:

١–أن الاسبانيين قلدوا العرب في الفن القصصي الأسطوري، (الاساطير)، فأصبحت جزءا من حياتهم الأدبية المبنية على الاساطير ، وذكر الملاحم البطولية لقادتهم سواء كانت صورا حقيقة أم لا؟ فهي تعكس لنا مدى تاثرهم بالثقافي الإسلامية الاندلسية.

٢–اما مدينة طليطلة فكانت في الحكم الإسلامي مركزا للحضارة الاندلسية، وبعد سقوطها سنة (٤٧٨هـ) بيد الادفونش، أصبحت مسيحية رغم ان الطابع المسيحي ظل غالبا عليها، فعدتّ مدرسة في الترجمة وفيها اهم حركات التعريب العلوم من اللغة العربية الى اللغة القشتالية، او البروفانسية ومن ثم اللاتينية.

٣–لم تعد مدرسة طليطلة مكانا للترجمة والنقل فقط، ونقل المعارف ، بل ان عملها توسع ليشمل عملية التبشير من خلال تدريب المبشرين بالمسيحية وتعليمهم مبادى الدين الإسلامي.

٤–ما هو السبب في اتجاه المدرسة في طليطلة الى الأفكار العلمية الجدلية فهي مدرسة علمية ؟ وقلتها

بالادب والشعر؟ لربما يعود الى عدم وجود أساتذة متخصصين في هذا المجال ، او لربما رغبة الأساقفة بمعرفة الأمور العلمية الطبية و الجدلية ، للاستفادة منها في حياتهم.

القسم الأول منها : اتجه الى ترجمة العلوم الانسانية؟ والقسم الاخر مدرسة ريموند اتجهت لتعريب العلوم العلمية؟

٥–ترجمة مواضيع الفلسفة التي تثير المجتمع وتدفعه الى البحث والتقصي، لمعرفة الحقائق، او لربما رغبة هذه الأساقفة لحث العلماء على ترجمة هذه العلوم ، لكي يعرفوا اراء المجتمع الأوروبي ووجهات نظرهم ، او انهم يريدونهم الهائهم .

٦–واحدة من نتائج التاثيرات وجود التعايش السلمي بين مختلف الفئات في الاندلس، كالمسلمين واليهود والنصارى، وان المسيحين قد تاثروا كثيرا بالعادات والتقاليد الاندلسية الإسلامية منها، بناء الحمامات والاهتمام بنظافتها، أو كيف يتم اختيار ابنيتهم.

٧–بقاء التاثير العربي في احياء مملكة أراغون المسيحية، هل بناءها المسلمين؟ أم انه تاثير وعادات حضارية؟

٨– عندما نقل المسلم الرقوطي الى مدينة اشبيلية ، دليلا على كفاءته العلمية ونجاحه الباهر في إقامة معهدا للتدريس والترجمة شملت كافة العلوم،ومنها نقل التراث والارث الحضاري الاندلسي .

٩–هل فن المواعظ السياسية كان موجودا وأين. ام أن الاسبان اوجدوه؟ لحاجتهم اليه؟

١٠–لقد بلغت التاثيرات الحضارية اوجها في عهد الملك الفونسو العاشر، لاسباب عدة منها رغبة الملك بنقل وترجمة علوم ومعارف المسلمين

١١–رغبة الفونسو العالم بترك شيء حضاري يخلد اسمه وذكره، ولربما فشله في إدارة الدولة كرجل سياسية، وميله الى العلم ،كواحدة من الأسباب التي جعلته يهتم بالعلوم والعامل الأهم كان لديه فضول لمعرفة الإرث والتراث الحضاري للمسلمين في الاندلس ؟ وكيف انهم بنوا هذه الحضارة؟ وماهي الأسس التي استندوا عليها؟

المصادر والمراجع:

١–ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي القضاعي،(ت ٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٥

٢–ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني،(ت ٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: احسان عباس، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩.

٣– ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري،(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

٤–الادريسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني، (ت ٥٦٠هـ)، نزهةالمشتاق في اختراق الافاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٨.

٥–الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي،(ت٣٣٠هـ)، مسالك الممالك،تح:محمد جابرعبد العال، مراجعة: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، تطوان، ١٩٦١.

٦– ابن حجر، احمد بن علي ابوالفضل العسقلاني،(ت٨٥٢هـ)،في اعيان المئة الثامنة ،بيروت،(د–ت).

٧–الحموي، ياقوت بن شهاب الدين،(ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر،بيروت،١٩٩٥.

٨–الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم،(ت ٨٨٦هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: ليفي بروفنسال، دار صادر، بيروت، ١٩٣٧.

٩–ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن سعيد،(ت ٧٧٦هـ)، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح:محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٢.

١٠–ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،(ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، موسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧١.

١١–الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، الجغرافيا، تح: محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٨.

١٢–ابن ابي اصيبعة، عبد الله بن القاسم،(ت ٦٦٨هـ)، عيون الانباء في طبقات الاطباء،تح: نزار رضا، بيروت، ١٩٦٥.

١٣–ابن عذارى، ابو عبد الله محمد،(ت ٧١٢هـ)، البيان المغرب في اخبار المغرب والاندلس، تح: ليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

١٤–ابوالفداء،عماد الدين اسماعيل الايوبي،(ت ٧٣٢هـ)، المختصر في اخبارالبشر، بيروت، (د–ت).
١٥–القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف،اخبار الحكماء باخبار العلماء،مكتبة المثنى،بغداد.
١٦–مجهول، مؤلف، تاريخ الاندلس، تح: عبد القادر بوباية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩.
١٧–اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن اسحاق، (ت ٢٤٨هـ)، البلدان، تح: محمد ضناوي، بيروت، ٢٠٠٠.

المراجع:

١–الاركون، ماوري، تاثير اللغة العربية باللغات الرومانية القديمة، محاضرة في ثربانتس، الوكالة السورية للانباء، سانا، ٢٠٠٩.
٢–بالنثيا، انجل غونثاليث، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة: حسين مونس، ط١، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، (د–ت).
٣– بروفنسال، ليفي، الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة: الطاهر احمد مكي، ط٢،دار المعارف، مصر،١٩٧٩.
أ– حضارة العرب في الاندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، لبنان، ١٢٩٠هـ.
٤–ترند، ج،ب، مقال اسبانيا والبرتغال في كتاب تراث الاسلام، ترجمة: حسين مونس،لجنة الجامعيين لنشر العلم،(د–م)، ١٩٨٣.
٥–حتي ، فيليب، تاريخ العرب، تح: جبرائيل حيدر، بيروت، ١٩٥٠.
٦–ديورانت، دل، قصة الحضارة، ترجمة: بدران، اصدرته جامعة الدول العربية، مصر،(د–ت).
٧–ذنون، عبد الواحد طه، دراسات في حضارة الاندلس، ط١، دار المدار الاسلامي، بيروت،٢٠٠٤.
٨– راشيل، اري، الاندلس، المعهد الوطني للبحث العلمي، باريس، ٢٠١١.
٩–الزركلي، خير الدين، ط٣، (د–م)، (د–ت).
١٠–السخاوي،عبد الرحمن ، رحلة مصورة الى بلاد الفرودس المفقود،ط١،دار الفكر،دمشق،١٩٨٣.
١١–الاعظمي،محمد حسن، شعراء الصوفية،تح: مصطفى غالب،بيروت،مؤسسة عز الدين،١٩٨٨.
١٢–عنان، محمد عبد الله، عصرالمرابطين والموحدين،العصرالثالث،ط٣، القاهرة، ١٩٨٨.
١٣–عيد، يوسف، الفنون الاندلسية واثرها في اوربا القروسطية، ط١، دار الفكر اللبناني بيروت، ١٩٩٣.
١٤–فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الاحمر،ط١، دار الجيل، بيروت،١٩٩٣.
١٥–كاسترو، امريكيو، حضارة الاسلام في اسبانيا، ترجمة: سليمان العطار، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٣.
١٦–كولان، ج،س، الاندلس ترجمة : إبراهيم خورشيد واخرون، ط١،كتب دائرة المعارف، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ١٩٨٠.
١٧–لوبون،غوستاف، حضارة العرب، تح: عادل زعيتر، مطابع عيسى البابي الحلبي، مصر ، ١٩٦٤.
١٨– مصطفى، شاكر،الاندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠.
١٩– مصطفى، كمال السيد، تاريخ الاندلس الاقتصادي في عهدي المرابطين والموحدين،الاسكندرية، ١٩٨٦.
٢٠–مظهر، جلال، حضارة الاسلام واثره في الترقي العالمي، مكتبة الخانجي، مصر،(د–ت).
٢١–مكي، احمد الطاهر، ملحمة السيد، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
٢٢–مونس، حسين، رحلة الاندلس،حديث الفردوس الموعود، ط١، الشركة العربية للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٣
٢٣–هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الاوقاف الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.
٢٤–واط، مونتغمري، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري،ط٢،دار المطبوعات، بيروت،١٩٨٠.

المجلات:

١–شعبان، ناديا ظافر، الفونسو العاشر والاسلام، المجلة العربية السعودية،العدد ٤–٥، ١٩٧٩ .
٢–صبحي، اميمة، فنون التعايش المسيحين واليهود والمسلمين وصنع الثقافة القشتالية، مجلة وجهات نظر، العدد ١٠، (د–م)، (د–ت)
٣–عباسة، محمد، العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى،مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد ١٣، ٢٠١٣.
٤–عبد المنعم، مصطفى، تاثيركبير للثقافة العربية على الادب الاسباني،جريدة الراية خلال ندوة بالصالون الثقافي، ٢٨–٢–٢٠١٤.
٥–عنان، محمد عبد الله، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة،١٤٠٨هـ.
٦–مجلة مركز دراسات الاندلس وحوار الحضارات، التاثير الثقافي والفني الاندلسي في اسبانيا المسيحية خلال القرون الوسطى، (د–م)، ٢٠٠٦.
٧– مجلة العربي ، تاريخنا مع الاخر،الكتاب العربي العلمي، تصدرها وزارة الاوقاف ،وزارة الاعلام ، الكويت، العدد٧٨، ٢٠٠٩.
٨–المعموري، سلمان درويش، اثر الادب الاندلسي في الاداب الاوربية، كلية الدراسات القرانية، قسم لغة القران الكريم، ٢٠١١.

المراجع الاجنبية:

١–١٩٨٠:gonzalez:j u lio: reiadoy: di pomasde:f ernan do: iii;iestuio